الفصل الثالث عشر

المعجزة الكبرى: القرآن الكريم

obeikandl.com

obeikandl.com

المعجزة الكبرى: القرآن الكريم

القرآن كلام الله وحسبك بهذا شرفًا، قليل منا من ينتبه إلى عظمة وجود كلام الخالق معنا على كوكبنا، أخي القارئ، إن كل ما يوجد حولك في هذه الحياة عبارة عن مخلوقات مثلك حتى السماوات والأرض ومن فيهن، إلا هذا القرآن الذي تراه في رفوف المساجد والمكتبات، إنه قراطيس وجلود تحوي كلام الخالق: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ۝٧٧ فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ﴾ [الواقعة: ٧٧-٧٨] كلام الخالق بين أيدينا! هل أدركنا هذا الفضل حق الإدراك؟ وهناك أمر آخر، كل كتاب في هذه الدنيا يستهله المؤلف بالشعور بالحرج والخوف من الوقوع في الخطأ، فتراه يذكّر القارئ بأنه اجتهاد متواضع يعتريه الخطأ والصواب، وكأنه يقدم اعتذارًا مسبقًا عن أخطاء متوقعة، واستدراكات مبررة، بينما القرآن العظيم وفي ثاني آية في أول سورة بعد الفاتحة يقول الله عنه: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ لَا رَيْبَ ۛ فِيهِ ۛ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾ [البقرة: ٢] أجل! إنه كتاب كريم عالٍ لا يضاهيه شيء في الأرض ولا في السماء، إنه كلام الله، ونحن أمام أمر عظيم جدًّا، أليس كذلك؟

لقد أوحى الله إلى كل نبي ورسول بعثه إلى قومه بلسانهم ليبين لهم، وأنزل الله على بعض الرسل كتبًا سماوية، منها التوراة والإنجيل والزبور وصحف إبراهيم، لكن من أعظم ما جاء به الوحي للناس كافة على مر التاريخ كله هو هذا القرآن العظيم الذي ختم الله به الرسالات، كلام الله المحفوظ والموجود في متناولنا، إنه (القرآن) الذي نزل للناس كافة في أرقى عبارات البلاغة اللغوية العربية، لم يجرؤ أحد على النيل منه أو الطعن فيه علميًّا ولفظيًّا، أو تغيير حرف من حروفه منذ أن أجمعت الأمة عليه بعد النبي ﷺ، كل كتاب ألفه أعظم مؤلف لا يمكن أن يمضي عليه عشرات السنين على حد أقصى دون نقد وتمحيص وإعادة تحقيق وتدقيق وربما تغيير لفكرته، وهذا القرآن كان ولايزال شامخًا، وسيظل كذلك إلى الأبد: ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤٢].

وبهذا يكون بحق أعظم معجزة جاء بها نبي، إنه كلام الله ومقامه فوق رؤوسنا جميعًا مؤمنين به مستسلمين تسليمًا لا يخالطه شك ولا ريب ولا حرج، دون أن نخوض

في كيفية تسلسل نزوله من الله إلى أن أصبح بين يدينا كتابًا مقدسًا محفوظًا إلى الأبد، لن نجد تسلسلًا في رواية أعظم ولا أصدق ولا أوثق من أن يتكلم أصدق القائلين ﷻ ومن أصدق من الله حديثًا؟ ثم ينقله لنا الروح الأمين جبريل عليه السلام إلى قلب الصادق المصدوق ﷺ، فيتلوه علينا، فمن لم يقبل هذا الخبر فلن يقبل خبرًا على الإطلاق، ومن كان صادقًا في تحري وتلمس كل ما يزيد إيمانه به، فسيجد الكثير مما يستوقفه من آياته البينات، وسيدرك من خلاله أن أمر الوحي والقرآن أعلى شأنًا من مقام البشر وتصوراتهم ومداركهم وأحاسيسهم بمن فيهم الأنبياء عليهم السلام.

بالحد الأدنى من التأمل المنصف، ستقف بعقلك المتوازن مقتنعًا بأن القرآن من عند الله، وليس من عند أحد من البشر، لن تقبل أبدًا بشبهة أنه من تأليف (محمد) وأنت تقرأ هذا التوجيه القرآني والتنبيه بل والاستدراك المباشر من الله تعالى على سيد البشر، بل والعتاب الصريح أحيانًا، قال تعالى لنبيه: ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١] وقال: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ [الأحزاب: ٣٧] وقال: ﴿عَفَا ٱللَّهُ عَنكَ لِمَ أَذِنتَ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٤٣] وقال: ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِٱلْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٤- ٤٧] وقال: ﴿وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٧٤] وقال: ﴿وَلَا تَجْعَلْ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا﴾ [الإسراء: ٣٩] بل إن الأمر وصل إلى أبعد من ذلك، حين قال له: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨].

فكيف والحال هذه، يزعم بعض المستشرقين، وحفنة من المشككين أن القرآن من تأليف (محمد)؟ إلا أن يكون ذلك جحودًا منهم بعد أن استيقنته أنفسهم، فاتخذوا هذا الموقف ظلمًا وعلوًّا فاستحقوا أن يصفهم القرآن الكريم بصفة الإفساد: ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ۚ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [النمل: ١٤] ولسنا في حاجة إلى الدخول في أنفاق جدال لا ينتهي مع هؤلاء، إلا تنزلًا وبالتي هي أحسن لتبرئة الذمة في البيان، وعليه فإننا نتحداهم بالحق أن يثبتوا لنا على مر تاريخ البشرية أن مؤلفًا واحدًا سطر في كتابه الخاص استدراكًا وتوبيخًا لنفسه مثل ما ورد في القرآن من عتاب إلهي على محمد ﷺ، وبكلمات من قداستها أن جعلها الله قرآنًا يتلى بالأجر

المضاعف للناس إلى قيام الساعة، وما كان هذا ليكون في حق سيد البشر لولا أن القرآن كتاب الله وكلامه الحق، إنه القرآن الحق المبين على الرغم من أنف كل مفترٍ وكافر به، ولا يعيب مقامه الأعلى كفر من كفروا به إذا كفروا، فلنعرض عنهم، كما أعرض القرآن عنهم: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِٱلذِّكۡرِ لَمَّا جَآءَهُمۡۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٞ ٤١ لَّا يَأۡتِيهِ ٱلۡبَٰطِلُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَلَا مِنۡ خَلۡفِهِۦۖ تَنزِيلٞ مِّنۡ حَكِيمٍ حَمِيدٖ﴾ [فصلت: ٤١- ٤٢].

*****

التنزل القرآني في الجدال

التنزل في الجدال هو أن تنزل إلى أدنى مستويات مقدمات الخصم، على أمل الصعود به من خلالها إلى حيث النتيجة التي يراد الوصول إليها، دون تنازل عن الحقيقة المجردة المراد توضيحها، وعادة ما يبدأ التنزل بعبارة (نفترض جدلًا...)، (هب أن...)، (على فرض أن....)، (هذا من باب التنزل....) ونحو ذلك، وعندما يحدث التنزل من أحد الطرفين المتكافئين يُعدّ ذلك أدبًا ورقيًّا في الخلاف بينهما، أما أن يتنزل الأقوى والأقدر للأضعف لتبصيره بالحق فهذا كرم وتفضل ورحمة ولطف، وهذا الذي نجده واضحًا جليًّا في التنزل القرآني، فيا أيها الإنسان، أرأيت كيف فتح الله عليك أبواب رحمته ولطفه بأن يداريك بالقرآن فضلًا منه ونعمة لإنقاذك لو أردت ذلك باختيارك! ثم وهبك حرية الاختيار واتخاذ القرار، فاخترت مختارًا طريقًا لن ينفع أو يضر إلا نفسك، أفلا تكون بعد هذا عبدًا شكورًا لمن خلقك فسواك فعدلك وأعطاك البصر والبصيرة والعقل وبين لك طريق النجاة ويسره لك ووعدك بالجزاء الأوفى إذا سلكته؟ قل لي بربك: ما المغريات البديلة التي تجعلك تعدل عنه إلى طريق قد أخبرك خالقك قبل أن تسلكه بأنه الهلاك الساحق الماحق؟

وأما القرآن من حيث هو كلام الله فهو حق مبين، قائم بذاته، لا يثبته كثرة المؤمنين به، ولا ينتفي بكفر الكافرين به، هو كلام الخالق، ولا قيمة ولا اعتبار لأي (عتمة) فكرية داخلية قد يحس بها بعض الناس من ذوي الاطلاع الثقافي المحدود، عندما

نتحدث عن عظمة كتاب الله، بحيث يشعر من داخل نفسه، وكأننا نتكلف له الكلام دعايةً، ونبالغ في العبارات لتسويق شيء لربما يظن بعض الناس أنه أدنى مما نصفه به، والحقيقة أنه ليس كما نصفه به فحسب، بل هو أعظم بكثير مما نستطيع وصفه بعقولنا ومداركنا، يكفي عجبًا وانبهارًا أن يكون بين الخلق كلام الخالق، مسطورًا في صفحات، ميسرًا للقراء يقرؤونه ويتدارسونه، فهذا أمر في غاية التكريم منه ﷻ للإنسان، انظر كيف أصبح وجود القرآن بيننا وكأنه منزل لنا وحدنا، يستنبط منه كل جيل ما يريده من الكنوز المعرفية، فالأجيال متعاقبة متقطعة والحضارات متغيرة، والقرآن راسخ يزود كل جيل بما يحتاجون إليه، ويدخر لمن بعدهم ما سيحتاجون إليه مما لا نعلمه بعد، هو كذلك لأنه من عند الله، ولو كان من عند غيره لما كان هكذا، لكن هذه الحقائق يتوصل إليها بالتدبر العميق، وهو ما أشارت إليه الآية الكريمة: ﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾ [النساء: ٨٢].

حتى مع إيماننا بالقرآن، فإن لدينا قصورًا شديدًا عن إدراك جميع ما في القرآن من عظائم ومعجزات نصية ثابتة باقية شامخة، ولاستحالة الإحاطة بهذه العظمة، فإنه يستحيل ترسيخها بالتلقين البارد، والمواعظ السطحية العادية، وإنما بتوجيه العقول بتركيز شديد إلى أعماق أعماقها لإدراك أقصى ما يمكن إدراكه منها من خلال الوقوف على نماذج من النصوص العظيمة التي يستحيل أن يكون مصدرها فرد عربي أمي لا يقرأ، ولا يكتب.

إذا استحضرت عقلك متأملًا بعمق، فسوف تقف وقفة إجلال وتعظيم لكتاب نزل في بيئة بسيطة وخاطبها بمنطقها البسيط، فأوصلها إلى إيمان يزن الجبال، وهو إيمان الصحابة الكرام ﭫ، وادخر نصوصًا مكتنزة بالمعاني الأخرى، مفعمة بالتحدي لمراحل قادمة جاءت بعد مئات السنين من نزوله لتكون متصدرة في كل جدال وحوار، ففي الوقت الذي خاطب العربي الفطري البسيط الذي لا يعاني مشكلات منطقية، ولا أزمات فلسفية بأن حذره من نار تلظى بعد أن بشره بجنات تجري من تحتها الأنهار، عن طريق آيات ميسرة معلومة ومفهومة للجميع، كقوله تعالى في وصف الجنة: ﴿فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ

﴿مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥] تجده أيضًا يدخر نصوصًا أخرى مكتنزة بالمعاني للجدليين قبل وجودهم، وبمقدمات حاسمة لنتائج منطقية، مثل هذه الآية العظيمة: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥] التي أنزلها الله على قوم كانوا لا يعانون أي أزمة إلحاد، بل يقرون بالرب الخالق، إذ وصفهم الله بقوله: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥] بل ويعظمونه في الإجابة: ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [الزخرف: ٩] لكن لأن القرآن كتاب علام الغيوب المطلع على كل شيء، فهو بعلمه المسبق يقدم لعباده خطابًا ضروريًّا للقرون القادمة التي تتعطش إلى مثل هذا النص المحيط بكل أطياف المعرفة لمواجهة موجة علم الكلام القادمة من حضارات مجاورة بعد أن ترجمت كتب المنطق، وتداولها المسلمون، وكاد بعضهم يهلك بسببها لولا أن القرآن أنقذه.

*****

صور من التنزل القرآني

لا بد من الإشارة هنا إلى بعض نماذج التنزل في الخطاب القرآني، وهو يدعو أهل الضلال إلى الهداية، إذ إن هذا النوع من الخطاب يعكس أقصى درجات المصداقية والثقة بالمخاطِب، مع الاستغناء عن المخاطَب، إنها رحمة الله الواسعة لهداية الحيارى إلى صراطه الحق المبين، وسنكتفي بذكر ثلاث صور:

الصورة الأولى

لا يختلف اثنان من الأولين والآخرين، المؤمنين و(الملحدين) وحتى من يسمون (باللأدريين)، على أن وراء هذا الكون العجيب موجدًا قويًّا جبارًا قادرًا خالقًا لكل شيء فيه، وله من الصفات الكمالية ما لا توجد في أي جزئية كونية من حياة وشجر وحجر وهواء وماء وضوء، أليس كذلك؟ إنهم يختلفون فقط حول من يكون هذا القوي، تأمل

هذه المسألة جيدًا، وحررها تحريرًا كاملًا بعقلك، تجدها حقيقة عند الجميع بلا استثناء؛ لأنها مسلمة جدلية ومقدمة منطقية ضرورية يجب حسمها بوضوح، قبل الانتقال إلى ما يترتب عليها من نتائج، إذًا الحقيقة المطلقة أننا نتحدث عن وجود (خالق) و(قادر) و(رب) و(مالك) و(جبار) و(عظيم)، حتى لو لم نحدد من هو هذا الرب تنزلًا منا مع المخالف في أول مقدماتنا المنطقية للحوار معه، (ولا شك عند المؤمنين بأنه الله ﷻ)، ولننتقل الآن إلى عظمة القرآن في التنزل المدهش في هذه المسألة، فهناك خطابان: الأول لمن حسموا هذا الأمر ممن استقر في قلوبهم الإيمان، فيخاطبهم القرآن مباشرة بذلك؛ لأنه لا إشكالية لديهم في هذا الأمر، فيقول لهم: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ﴾ [الزمر: ٦٢] فيؤمنون، ويصدقون، ويخرّون للأذقان سجدًا.

والخطاب الثاني موجه لمن هم دونهم في اليقين من المترددين المرتبكين التائهين، فيلقي إليهم طوق النجاة بكل لطف وتحبب وتودد ليقربهم من الحقيقة، فأورده لهم في سياق هذا القسم العظيم بالعظيم الذي لا يختلفون على عظمته وقدرته، وإن جهلوا ذاته، لكنهم لا يختلفون عليه، فلم يقسم بـ (الله)! حتى لا تقفل العقول المضطربة المختلفة عليه، وتنصرف الأذهان شكًّا وإعراضًا وترددًا، بل جاء القسم برب السماء والأرض يعني أحاط القسم بالكون، وأقسم بربه المعترف به من الجميع، وهذا القسم بجواب أيضًا يقرر الحقيقة، ويربطها بالنطق البشري وإحداث هذه الأصوات والمفاهمات بيننا، تقريرًا للحق بأنه الحقيقة التي لا يسع العاقل إلا الإيمان بها، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ﴾ [الذاريات: ٢٣] ثم أوردها بالقسم الآخر الذي وإن كان فيه تنزل أيضًا، إلا أنه لم يترك شيئًا معلومًا أو مجهولًا إلا وقد حواه ليقرر صدق هذا الوحي وضرورة قبوله: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا لَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُۥ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ﴾ [الحاقة: ٣٨- ٤٠].

ماذا سيقول من لا يؤمن بالوجود، بل حتى (الملاحدة) أنفسهم عن هذا القسم؟ الذي جاء بالعظيم الذي يقف وراء هذه العظمة الوجودية، ثم تكررت الصورة أيضًا

لما أقسم على أنه سيتم حشر الناس وحشر الشياطين، قال تعالى: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّيَاطِينَ ثُمَّ لَنُحْضِرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ جِثِيًّا﴾ [مريم: ٦٨] وقبل أن يقرر القرآن أن الخالق هو الله بدأ بتوجيه العقل إلى أعظم موجودات يحسها الإنسان في حياته اليومية، وهي الأرض والشمس والقمر، وشدد على أنها آيات لخالقهن: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧] وبعد أن لفت الأنظار إليها، وهي العظيمة الباهرة بذاتها، أمر أمرًا لا يسع الإنسان السوي إلا الامتثال له، فقال: ﴿لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ﴾ [فصلت: ٣٧] أرأيت كيف قرن مشروعية السجود ببرهان قوة الخالق لهذه الأجرام العظيمة، وليس لها، ثم ذكّر بأنه الله، ونسب إليه خلقهن استمالةً للقلب النافر الشارد.

كل هذا التودد مع أن الفطرة والوحي والمنطق السوي كلها تؤكد أن الله وحده هو الذي خلقهن، إنه غاية التنزل والرحمة على العباد من اللطيف الخبير الذي وصل بخطاب القرآن إلى أدنى ما يمكن أن يقبل به الإنسان، فيا أيها الإنسان، انظر كيف دعاك الخالق ابتداء للإيمان به، ثم دعاك بعدها للسجود لمن خلقهن؟! بالله عليك ألا يستحق الذي خلقك، وخلقهن، وخلق كل شيء، فقدره تقديرًا أن تسجد له أنت وجميع المخلوقات التي امتن عليها بوجود بعد عدم؟ وخاصة أنك إنما تقضي هذه الحياة القصيرة الفانية، تسجد له لا لتنفعه بالسجود أو تضره بالجحود، ولكن تعظيمًا له وطاعة لأمره وطمعًا فيما عنده؛ لكي تنقذ نفسك أنت مستقبلًا مما قدره من الأقدار التي لا ينجيك منها سواه! وإن لم تسجد، فما أنت بضار إلا نفسك، وأما رب العالمين فجميع الخلق يسجدون له وهو ليس غنيًّا عنك فحسب بل غني عنهم وعن سجودهم، ولكنهم يسبحونه، وله يسجدون: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ ۗ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ [الحج: ١٨] إنها آية! تأملها جيدًا، ثم تصرف لنفسك، فارحمها رحمك الله!

*****

الصورة الثانية

الخطاب القرآني ينطلق بالإنسان من تصوراته المدركة عن نفسه، فيوصله إلى زاوية الإيمان بالغيب، إذ لا يمكن للإنسان أن يشك في وجوده ماديًّا وروحيًّا، بدليل أنه يخدم مصالحه، ويلبي أنانيته ورغباته مباشرة عندما يشتهي، ويحتاج إلى شيء ما، فإنه لا يأبه بأي قانون ولا نظام ولا منطق إلا بمنطق القوة التي ترغمه أو يرغم غيره على الانضباط وفق خيار الأقوى، فهو لا يتوقف عند حكمة العقل أو تدرج المنطق أو مخرجات مدارس الفلسفة أو الفقه أو الدين أو غير ذلك من أدوات وقضايا النقاش التي يقتلها حوارًا وثرثرة وجدالًا فقط حينما يشبع ويأمن على نفسه وينعم بالسراء والصحة والفراغ مسترخيًا متسكعًا في فراغ الوجود، أما عند الضراء أو المرض أو الفقر أو الخوف أو الجوع أو العطش، فإنه (يكفر) بكل هذه (الهرطقة الفلسفية!) ويبحث عن المنتجات العملية المباشرة التي توفر له الأمن من الخوف، والغنى من الفقر، والصحة من المرض، والأكل من الجوع، والشرب من العطش.

ولأهمية هذا التصور نجد أن القرآن ينطلق بالعقل البشري من صورة وجود الإنسان عند نفسه ليصل به إلى موجد هذا الكون وجميع ما فيه، بمن فيهم الإنسان نفسه، لقد طرح القرآن سؤالًا تقريريًّا يلجم كل مجادل عنيد عن الخالق، قال تعالى: ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴾ [الطور: ٣٥- ٣٦] قف قليلًا هنا، ستعلم علم اليقين أنه يمتنع أن يأتي الإنسان إلى هذا الوجود من دون خالق! ويمتنع أيضًا أن يخلق الإنسان نفسه! وإذا استحال عليه خلق نفسه من باب أولى استحالة أن يخلق غيره (كالسموات والأرض)، إذًا هناك من خلق الإنسان! وهو الله ﷻ الذي أخبرنا بذلك، ولم يجرؤ أحد أن يدعي ذلك غيره، وخطابه للإنسان بهذه الرقة المنطقية والتنزل العجيب في الجدل، لا يمنع ألا يخاطبه عند العناد بالاستغناء المطلق عنه وعن الخلق أجمعين بقوله: ﴿ مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ ٱلْمُضِلِّينَ عَضُدًا ﴾ [الكهف: ٥١] ولما أورد القرآن الجدال بين الرجلين في سورة الكهف، وجاء فيه التحدي بتنزل فريد أيضًا، لم يذكر فيه أن الله هو الخالق، بل

اكتفى بتقرير الربوبية مستفهمًا عن وجود الرب من خلال إيمان الإنسان بنفسه ومراحل خلقه التي يشاهد بعضها أمامه، لقد جاء في سورة الكهف أن أحد الرجلين قال للآخر، مستنكرًا عليه: ﴿أَكَفَرْتَ بِٱلَّذِى خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّىٰكَ رَجُلًا﴾ [الكهف: ٣٧] فسبحان الله مَن مِن المخلوقات بما فيها الإنسان لا يحمل جميلًا وشكرًا وعرفانًا لا حد له ولا حصر لمن أوجده وخلقه وسواه وصوره ورزقه؟ فكيف يُكفر به بعد ذلك؟! يا لها من صورة رائعة من صور التنزل القرآني في خطاب المخالف طمعًا في هدايته للحق، صورة تشهد بأن الله هو الرحمن الرحيم!

*****

الصورة الثالثة

يدرك الإنسان جيدًا ثقل وقع هذه الحقيقة على نفسه بأنه: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] في هذا الكون العظيم لا من ناحية الزمان ولا المكان ولا الوجود، كما فصلنا ذلك مسبقًا، والعلم الحديث أثبتها، ولا يختلف عليها أحد مطلقًا، ولكن انظر كيف تناولها الخطاب القرآني وكيف يصل التنزل أحيانًا إلى أن يضعك أيها الإنسان، على قدم المساواة الجدلية، تدرك حينها كم أنت مفرط عندما تفوت من هذه الفرص الثمينة ما لا يمكن استدراكه، وأن عاقبة فوات الأوان ندم لا حدود له، إذ إن مقامك في الدنيا قصير وزادك فيها قليل، تذكر عظمة من يخاطبك! ثم قدر هذا التنزل حق قدره فما حاجة الغني سبحانه أن يقول للإنسان الجاحد لنعمته: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] لولا منتهى التلطف والتودد الرحمة من الأقوى والأغنى والأبقى والأكبر، لمن هو دون ذلك كثيرًا كثيرًا، هذا تلطف الوحي بهذا الإنسان التائه الذي يظن كل الظن، بل ظن السوء أحيانًا بالكون وخالق الكون، وما هو فيه إلا مجرد لمحة بصر عابرة في شريط الزمان والمكان والوجود، لا يكاد يكون له أثر يذكر لولا أن الوحي خاطبه، وأعلى شأنه وقدره، وأما عند الصدود والمكابرة فالأمر محسوم قدرًا، والغني ﷻ ليس في حاجة، ولا السماوات

والأرض ولا الخلق كله ينتظر إيمان إنسان ليسعد به، أو كفره ليشقى به، فقد دارت عجلة الوجود من دونه: ﴿ قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ ﴾ [سبأ: ٢٢].

*****

القوة واليسر في الخطاب القرآني

القرآن كتاب أنزل للناس جميعًا، وليس للمسلمين وحدهم، لقد خاطب عموم الناس مباشرة بقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ﴾ [الحجرات: ١٣] وخاطب أهل الكتاب خاصة من يهود ونصارى مباشرة بقوله: ﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ [آل عمران: ٦٤] وخاطب المؤمنين مباشرة بقوله: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ﴾ [الحجرات: ٦] وتكرر ذلك في القرآن بصور شتى، إنه كتاب الله للعالمين كافة، ومن عظمة هذا القرآن أنه استطاع بالخطاب الميسر وحده إقناع آلاف الملايين من الناس بمنطقه القوي، فآمنوا بالله غيبًا وتصديقًا لخبر السماء دون أن يقدم الوحي للإنسان أي دليل مادي مباشر ملموس محسوس بالحواس عن عالم الغيب والآخرة، بل اكتفى بالخبر فقط، مؤكدًا استحالة كشف الغيب حسيًّا قبل أوانه الذي حدده مَنْ له الخيار المطلق في ذلك مما يقصر، ويقصر بنو الإنسان وغيرهم من المخلوقات أن يتدخلوا فيه، واكتفى الوحي بضرب الأمثلة التقريبية والتشبيه التمثيلي للتقريب.

وأما إذا ما تجاوزنا التنزل إلى الحقيقة الدامغة، فإن الحق قد تقرر قدرًا باختيار الله وإرادته المطلقة دون الحاجة إلى إيمان المخلوق بها لكي تصبح حقيقة واقعية، قال تعالى: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ ۗ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ [القصص: ٦٨] وما من علم ولا معرفة ولا قدر ولا حدث ولا حادث أو سيحدث في هذا الوجود إلا بعلمه سبحانه وحده لا شريك له، والقادر على إيجاد الوجود قادر على معرفة ماضيه وحاضره ومستقبله: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌۢ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ [لقمان: ٣٤] ولهذا جاء العتاب الأقوى لكل من ضرب

الذكر صفحًا عن هذه الحقائق الكبرى وهو يملك عقلًا يفكر به، واعتُبِر ذلك قصورًا في تصوره للوجود: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧].

وهكذا لا تنتهي عجائب القرآن، ولا تقف عند بيانه وفصاحته وتيسيره، بل تتجاوزه إلى عمق معانيه، فالمنهج القرآني في البيان جمع بين يسر الفهم للجميع: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٧] وبين تحديه القائم أمام الجميع عبر التاريخ، قال تعالى: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [يونس: ٣٨] وهذا الأسلوب في الحوار القرآني مع المخالف أطلق عليه الفقيه المالكي والفيلسوف الإسلامي أبوالوليد (ابن رشد) الاستدلال المنطقي على الإيمان بالله باتباع البراهين السهلة الواضحة، مؤكدًا أنه استنبط هذه القاعدة أصلًا من المنهج القرآني في التدرج في خطاب العقول، وأنه لا يعدل بهذا الاستدلال شيئًا[1].

ومن أوضح صور البراهين السهلة للاستدلال المنطقي في القرآن التي أشار إليها (ابن رشد) ما ورد في سورة فاطر، حيث لم يقفز بالعقل إلى نتيجة أن العلماء هم أكثر خشية لله من غيرهم، إلا بعد أن مهد لذلك بآيات نقل العقل فيها متدرجًا ليس بالصور العادية فقط، بل بالصور الملونة وبأجمل الألوان وأزهاها، من إنزال المطر ونبات الأرض وتنوع النباتات بألوانها والحيوانات بأنواعها وألوانها، سلسلة طويلة من التأمل والتفكر لفت إليها، ليقرر في النهاية حقيقة تميز الخشية عند هذا العالم الذي يدرك هذه الحوادث مجتمعة، ويستوعبها، ومتى استوعبها وفق هذا السرد والشرح فهو داخل في وصف العلماء الذين فازوا بهذه الشهادة من الله الذي قال عنهم: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَا ۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ ۗ إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ [فاطر: ٢٧- ٢٨].

---

(١) الكشف عن مناهج الأدلة فى عقائد الملة أبوالوليد ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، سلسلة التراث الفلسفي العربي، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م، تقديم: محمد عابد الجابري، ص١٦٣.

تأمل هذه الآيات – أخي القارئ – وستجد أنه قد ورد في آيتين فقط من كتاب الله جملة من علوم الفيزياء والبيولوجيا والفيسولوجيا والكائنات من حيوانات ونباتات، وما يتفرع عنهما، وعلم الطقس والمناخ والرياح والضغط الجوي وتشكل الغيوم وتحركاتها، والجغرافيا التي تنوعت تلك الأحياء بتنوع بيئتها وأجوائها ومواقعها، والإنتاج الزراعي من تلك الثمرات التي يقتات منها الإنسان، ووصف الغطاء النباتي المتنوع، والثروة الحيوانية والجيولوجيا من جبال ومعادن متلونة بألوانها وعلم النفس وعلم الاجتماع والإيمان، تأمل هذه الآية متجردًا للحق متلمسًا للحقيقة، وستجد كل ذلك فيها، وستقول حقًّا: إنه كلام الخالق ﷻ، وحقًّا يكون هذا العتب منه سبحانه على خلقه المقصرين بحقه: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٨٢].

*****

القرآن محفوظٌ ويحفظ من يحفظه

القرآن العظيم محفوظ بحفظ الله له، وحصن منيع حمى الله به المسلمين من الانزلاق العشوائي نحو سفسطة علم الكلام المجرد، لقد كانت تصورات معظم أهل الكلام لا تسمن ولا تغني من جوع في مواجهة تطلعات الإنسان وتساؤلاته المعرفية عن الوجود، أما المسلمون فوجدوا في القرآن الكريم طريقهم الآمن لفهم تلك الإشكالات، لما قيل لهم فلسفيًّا: إن هذا العالم وجد بلا إرادة، لاذوا بالقرآن الكريم يفتشون عن إجابة، فوجدوا فيه: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ﴾، [القصص: ٦٨] أي إن هذا الوجود جاء بعد مشيئة وإرادة واختيار وخلق، ولما قيل لهم فلسفيًّا: إن الكون أزلي أي قديم، لجؤوا إلى القرآن، فوجدوا فيه: ﴿مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الأحقاف: ٣] فعلموا أن هناك أجلًا، وكل ما له أجل فله بداية، ولما قيل لهم: إن الإنسان أزلي في الكون وجدوا القرآن يقول لهم: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] وهكذا كلما حزبهم أمر جدلي لجؤوا إلى القرآن الكريم، فوجدوا فيه الحق والحقيقة، فاطمأنوا إليه.

القرآن الكريم يضخ أنهارًا صافية عذبة من حجج الحق الداحضة لحجج قوم قد أفنوا أعمارهم بالبحث والتحري عنها ليصلوا إلى نتائج بشرية متناثرة، يشعرونك بعدم ثقتهم بها أصلًا، كلما أظهروها ذابت أمام عظمة الحجة القرآنية وبيان المنطق السليم المطرد الذي خص به ربنا أصحاب العقول وحدهم، قال تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَـٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ ۖ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣] ومما أدركه العقلاء أن هذا القرآن لا يحده زمان ولا مكان، فهو متجدد في كل زمان وحاضر في كل مكان، حتى وصل إلى عصرنا هذا، حيث نعيش أرقى حضارة إنسانية بالمنشآت والمصانع والسيارات والطائرات والاتصالات والتقنية والأجهزة الذكية وسفن الفضاء، فلا تكاد تفتقد آياته من خلالها، ها نحن نتلو كتاب الله ونحن فوق تلك المراكب، وباستخدام أحدث التقنية صوتًا وصورة، وكأنه ببلاغته ومعلوماته وإعجازه قد نزل توًّا في بيئتنا هذه، وكأنه نزل علينا في طائراتنا وبواخرنا وسياراتنا ومركباتنا الفضائية وأجهزتنا الذكية، لا تجد نفورًا ولا تعارضًا ولا استغرابًا من نصوصه مع كل ما توصل إليه العلم، بل إنه في وضع يؤكد بكل ثقة استعداده لمواجهة أي حدث علمي يطرأ مستقبلًا مهما كان متقدمًا على ما مضى دونما حرج أو تعارض مباشر مع نصه، علمًا أنه قد نزل، واكتمل نزوله في بيئة متواضعة جدًّا قوامها (الخيل والبعير والشاة والماعز وغرف الطين والمزارع الصغيرة)، الذي تغير هو فقط شكل ومادة الصفحات التي كان يكتب عليها من جلود وأوراق شجر، إلى الأوراق الفاخرة اليوم وشاشات العرض الإلكتروني، بينما النص هو النص لم يتغير أبدًا، هنا يغالب المؤمن دمعه المنسكب حمدًا لله على هذه النعمة وإعجابًا وتعظيمًا للقرآن العظيم ليجد نفسه قائلًا من أعماق قلبه سرًّا وعلانية: (آمنا بالله وبما أنزل).

ومع أن هذا القرآن كلام الخالق العظيم القوي العزيز، وجاءت نصوصه صريحة بالوعود ترغيبًا للطائعين، والوعيد ترهيبًا للعاصين، إلا أنه تميز بمنهجية التلطف بالخطاب اللين، بل والتنزل أحيانًا في مجادلة المخالفين تفضلًا ممن أنزله بالحق لاستنفاد جميع الحجج مع المخالفين، بحيث يكون الجزاء الأوفى لهم فيما بعد جزاءً عادلًا سواء على الطاعة أو على المعصية بحسب اختيار الإنسان.

*****

الاستدلال القرآني يَعلو ولا يُعلى عليه

يجمع الخطاب القرآني في الاستدلال بين جميع الأدلة النظرية المركبة التي يلتقي عليها الفلاسفة والمنطقيون بعد خلافهم، ولكن بأسلوب سلس ميسر جدًّا لجميع مستويات الفهم والإدراك، ومن أشهر أدوات الاستدلال عند المنطقيين ما يعرف بالأدلة الخمسة، وهي (الحدوث، والوجوب، والعلة الكامنة، وقانون العلية، والنظام)[1]، وجميعها وردت في الخطاب القرآني غير أنه ركز على دليل (النظام) لأنه ميسر وأكثر من غيره قبولًا لسهولته ووضوح نتيجته، والمقصود بدليل النظام هو التذكير بالخلق والإبداع والنظام الجامع وتكرار ذلك ليترقى بالعقل إلى النتيجة المطلوبة، فهذا الدليل هو ما يدركه العقل بسهولة دون هم أو عجز أو كلل، ولا يحتاج إلى متخصصين بالفلسلفة والمنطق لشرحه، فليس كل الناس فلاسفة ولا منطقيين يدركون بالضرورة معاني الحدوث والعلة والعلية، بل جعل الله لهم هذا القرآن ميسرًا، وجاءت آياته بينات في متناول عقول الجميع، تخاطبهم بكل سلاسة وهدوء، هكذا يخاطبهم بما يعقلونه مباشرة، ويقول لهم: ﴿ سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴾ [فصلت: ٥٣- ٥٤].

إن اعتماد الخطاب القرآني لدليل النظام في البيان والجدل لا يعني إهماله لبقية الأدلة المنطقية المعتبرة، التي جاء ذكرها عابرًا في ثنايا الخطاب، فعلى سبيل المثال يأتي خبر حدوث الكون بخبر القرآن قبل ألف سنة من عصر (ديكارت) و(بسكال) و(ليبنتس)[2]، الذين تطرقوا لمسألة الحدوث بالتفصيل، وهذا الخبر الرباني قد وصلنا عن طريق رسولنا

(١) أدلة إثبات وجود الله تعالى بين الفلسفة والدين الدكتور صبري محمد خليل أستاذ القيم الإسلامية والفلسفة بجامعة الخرطوم سودانايل، السبت ١٠ يناير ٢٠١٥م.

(٢) ليبنتس Gottfried Wilhelm Leibniz (١٦٤٦- ١٧١٦م) الموافق (١٠٥٦- ١١٢٨هـ) فيلسوف وعالم رياضيات ألماني مشهور جدًا تقوم فلسفته على تفسير الوجود من خلال الانسجام الكلي للكون: (موسوعة الفلسفة، بدوي، الجزء الثاني، ص٣٨٧).

الأمي، حيث ذكر أن الكون قد خلق في زمن معين، وله أجل مسمى أيضًا، وهذا الخبر بسهولته قد ترجمه فلاسفة منهم (ليبنتس) الذي قال: إن كل شيء في الكون حادث لأنه شيء ولأنه متغير، ولأنه ممكن الوجود، وليس واجب الوجود، فهو لم يخلق من غير شيء، ولم يحدث من غير علة كامنة[1]، وهذا ما أشار إليه القرآن قبلهم بقرون عدة بقوله: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ [الطور: ٣٥].

وتجدر الإشارة هنا إلى أن الفقيه الفيلسوف أبا حامد الغزالي قد استنبط ما أسماه أضراب المنطق الحملي والقياس الشرطي في المنطق، وأكد أنها موجودة في القرآن الكريم، وأطلق عليها الموازين الثلاثة، وهي:

١- ميزان التعادل: وهو جوهر النظرية الأرسطية، وهو استدلال لا يخرج عن ثلاثة حدود: (أكبر وأصغر وأوسط) وثلاث قضايا، مقدمتان الأولى كبرى والثانية صغرى، ونتيجة واحدة، فالميزان الأكبر يوضحه معنى قوله تعالى: ﴿قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى كَفَرَ﴾ [البقرة: ٢٥٨] وتوضيح ذلك أن المقدمة الكبرى تقول: كل من يقدر على الإتيان بالشمس من المشرق فهو الإله، والمقدمة الصغرى تقول: إلهي هو القادر على الإتيان بها، النتيجة: إلهي هو الإله يا نمرود[2]. أما الميزان الأوسط، وفيه يكون الحد الوسط محمولًا في كلتا المقدمتين، ومثال ذلك رفض إبراهيم الإله الآفل، عندما قال: ﴿لَآ أُحِبُّ ٱلْـَٰٔفِلِينَ﴾ [الأنعام: ٧٦] فيكون الميزان أن المقدمة الكبرى هي أن القمر آفل، والمقدمة الصغرى: أن الإله ليس بآفل، النتيجة: أن القمر ليس بإله[3]، أما الميزان الأصغر فهو كما قال الغزالي: تعلمناه من الله الذي علمه محمدًا ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ ۗ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الأنعام: ٩١]

---

(١) فلسفة الفرد نورث وايتهيد دراسة تحليلية رافد قاسم هاشم مجلة بابل العلوم الإنسانية، مجلد ١٢، العدد ٣، ٢٠١١، ص٤٦٣.

(٢) القسطاس المستقيم، أبوحامد الغزالي، ضمن مجموعة رسائل الإمام الغزالي، تحقيق: إبراهيم أمين محمد، المكتبة التوفيقية القاهرة ص٢١ نقلًا عن عبدالكريم عنيات: أسلمة المنطق، (مرجع سابق)، ص١٠٧.

(٣) القسطاس المستقيم، الغزالي، (مرجع سابق)، ص٢٩.

وتوضيح هذا الميزان أن المقدمة الكبرى: أن موسى أنزل عليه الكتاب، والمقدمة الصغرى: أن موسى بشر، النتيجة: أن بعض البشر ينزل عليه كتاب.

٢- ميزان التلازم: ويقصد به الغزالي كل ما هو لازم للشيء فهو تابع له في كل حال، فنفي اللازم يعني بالضرورة نفي الملزوم، ووجود الملزوم يوجب بالضرورة وجود اللازم، أما نفي الملزوم ووجود اللازم فلا نتيجة لهما بل هما من موازين الشيطان الباطلة[١]، وميزان التلازم قد اشتقه الغزالي من قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢] وتوضيح ذلك: المقدمة الكبرى تقول: إنه لو كان للعالم إلهان لفسد العالم، والمقدمة الصغرى تقول: إن العالم (الوجود) لم يفسد، النتيجة: هناك إله واحد فقط لهذا العالم.

٣- ميزان التعاند: وعرفه الغزالي بقوله: «كل ما انحصر في قسمين يلزم عن ثبوت أحدهما نفي الآخر ومن نفي أحدهما ثبوت الآخر، ولكن بشرط أن تكون القسمة منحصرة لا منتشرة، فالوزن بالقسمة المنتشرة وزن الشيطان»، وقد أخذ الغزالي هذا الميزان من قوله تعالى: ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ ۙ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [سبأ: ٢٤] وتوضيح ذلك أن المقدمة الكبرى تقول: إنا أو إياكم لعلى ضلال مبين، والمقدمة الصغرى تقول: إن المعلوم أننا لسنا على ضلال مبين، فإذا ثبت ذلك تكون النتيجة: أنتم في ضلال مبين[٢].

قد لا تحتاج إلى هذا التفصيل المنطقي المتخصص، وبمصطلحات سبق أن أكدنا أنها ليست ضرورية لك في هذه الحياة وما بعدها، إنما أوردناها هنا على سبيل المثال لتعلم أن كتاب الله الميسر لك فهمه مليء أيضًا بالكنوز المعرفية المتخصصة للبحث إلى جانب الحجج المنطقية الميسرة للفهم، وبعيدًا عن هذه المصطلحات المنطقية يتضح لأواسط الناس أن من معجزات هذا القرآن أن خطابه جاء موجهًا للعالمين كافة مؤمنين وحاجدين، ابتداء من أقصى درجات الجحود والإنكار، فخاطبهم بمنطق استثنائي، لا

(١) القسطاس المستقيم، الغزالي، (مرجع سابق)، ص٢٠٧.

(٢) المنطق والموازين القرآنية، محمد مهران (قراءة لكتاب القسطاس المستقيم للغزالي)، المعهد العالي للفكر الإسلامي، القاهرة، الطبعة الأولى، ١٩٩٦م، ص٦٠، نقلًا عن عبدالكريم عنيات، أسلمة المنطق، (مرجع سابق) ص١١٢.

يسع العاقل أمامه إلا التسليم، ذلكم المنطق الذي جعل جبير بن المطعم بن عدي يقول عنه: «كاد قلبي أن ينفطر»[1] ويميل إلى الإسلام، وذلك بعد أن سمع هذه الآية وهو على الشرك حينه فقط: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ﴾ [الطور: ٣٥- ٣٦].

ومن عجائب الخطاب القرآني أيضًا أنه يستفتح الجدل بتقرير سؤال المجادلين ابتداء، ليتبعه بالرد على الشبهة ردًّا داحضًا لكل شبهة بالحق دون انتظار، وكأنه بذلك يكشف ما يدور في النفوس قبل نطقها به، فيظهره للعلن ليكون الرد عليه علانية أيضًا: ﴿وَيَقُولُ ٱلْإِنسَٰنُ أَءِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا﴾ [مريم: ٦٦] ثم لا يأتي بالإجابة مباشرة على شكل سرد أو تلقين أو وصاية، بل تنزلًا عجيبًا وبهدوء سلس يحيل العاقل إلى عقله من منطلق الثقة به بالوصول إلى الحق عند العقلاء، عندما يحكمون بأنفسهم، ويحصلون على رد من ذواتهم لذواتهم، فتكون الإجابة بسؤال مماثل ينهي الحاجة للإجابة عن السؤال الأول: ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: ٦٧] بلى، والله كلنا وكل عاقل يذكر ذلك، ولا ينكره إلا مكابر عنيد.

وخاطب القرآن الإنسان بخطاب عقلي يأخذ بيده مترفقًا متأنيًا من خلال عالم المحسوسات المادية ليصل من خلالها إلى عالم المدركات العقلية، فتصبح في النهاية حقيقة عقلية يسهل الإيمان بها دون حاجة إلى أن يتمكن الإنسان من إدراكها حسيًّا، فعندما يقرر القرآن خبر يوم القيامة، وهو من النبأ العظيم الذي اختلف فيه الأولون والآخرون، تجده يرص لنا مصفوفات من الحقائق المحسوسة اليقينية التي يستحيل إنكارها، وكأنه يرصف طريقًا محكمًا من الأفكار بصورة مترابطة ليجعل المسافة بينها وبين الإيمانيات الغيبية بالعقل أقصر ما يمكن دون الاتصال بها، أي إنه يوصلنا إلى أقصى نقطة يمكن للعقل البشري الوقوف عندها، ثم يترك المجال بعد ذلك للعقل نفسه كي يقوم هو بمحاولة (تجسير) هذه الفجوة الكبيرة بين الغيب والشهادة، ويتصورها بعقله، وكأنه أدركها بحواسه تقريبًا.

---

(١) الحديث رواه البخاري (٤٥٣٧) عن محمد بن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن أبيه قال: «سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥- ٣٧] قال: كاد قلبي أن يطير}.

لنقرأ هذه الآيات الكريمات، ونحتاج هنا إلى تركيز خاص جدًّا، فالآيات ليست جديدة على مسامعك، فحاول معي أن تتفرغ ذهنيًّا، وألا تتجاوز كلمة واحدة منها دون أن تدرك حقيقة حدوثها حولك وعلاقتها بما بعدها وما قبلها، أعلم أنك قد قرأت هذه الآيات كثيرًا، فأرجوك أن تقرأها الآن، وكأنك لم تسمع بها من قبل، وكأنها نزلت عليك توًّا، اسمع وأنصت جيدًا: ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١ عَنِ ٱلنَّبَإِ ٱلْعَظِيمِ ۝٢ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ ۝٣ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٤ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ۝٥ أَلَمْ نَجْعَلِ ٱلْأَرْضَ مِهَٰدًا ۝٦ وَٱلْجِبَالَ أَوْتَادًا ۝٧ وَخَلَقْنَٰكُمْ أَزْوَٰجًا ۝٨ وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ۝٩ وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ لِبَاسًا ۝١٠ وَجَعَلْنَا ٱلنَّهَارَ مَعَاشًا ۝١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا ۝١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا ۝١٣ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلْمُعْصِرَٰتِ مَآءً ثَجَّاجًا ۝١٤ لِّنُخْرِجَ بِهِۦ حَبًّا وَنَبَاتًا ۝١٥ وَجَنَّٰتٍ أَلْفَافًا﴾ [النبأ: ١- ١٦] انظر كيف سلك الخطاب القرآني الوصف المتدرج وبالبرهان العقلي المحسوس ليوصلك إلى قمة القدرة الاستيعابية عند الإنسان لكي يعلم من خلال معرفته بما أمكن، حقيقة معرفته بما لا يمكن بالحس والعقل، وليعلم أن الرب الذي هذه أفعاله وخلقه وقدرته، لن يعجزه شيء على الإطلاق، وأبقى سقف القدرة والمشيئة والخلق والتدبير مفتوحًا بلا حدود، ثم انتقل بك إلى عالم الغيب مخاطبًا العقل وحده ومختصرًا له الطريق ليكتفي بالخبر الصادق فقط عنه: ﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ كَانَ مِيقَٰتًا﴾ [النبأ: ١٧] ولأن الأمر ليس خبرًا هامشيًّا أو نزهة فكرية أو جلسة مؤانسة أو تسلية، بل هو الحق الحتمي الذي سيواجهه كل إنسان ليتحدد مصيره، إما إلى هذا المقر: ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا ۝٢١ لِّلطَّٰغِينَ مَـَٔابًا﴾ [النبأ: ٢١- ٢٢] أو إلى هذا المستقر: ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١].

هذا خطاب الله القادر عليك أيها الإنسان، وأنت في هذه الدنيا قصير العمر والأجل الذي لا تدري متى ساعة موتك، فأي كرم أكبر من هذا الكرم، وأي فضل أعظم من هذا الفضل، عندما تصبح جميع معالم مستقبلك في غاية الوضوح عندك وفي ضمان القادر على كل شيء، تخيل أنك لا تملك هذه الرؤية الواضحة، فأدرك نفسك قبل فوات الأوان، واسلك بها طريق السلامة، فإنه واحد لا يتعدد، ليس أمامك أي فرصة انتظار أو تسويف أو جدل، ورصيدك من العمر لحظات لا اعتبار لها في سجل الزمن الكوني ربما لم يبقَ منها شيء الآن، فأدرك نفسك، واستجب واستحِ حق الحياء ممن هذا

خطابه لك: ﴿وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ [الأحقاف: ١٧] حمانا الله وإياك من كل شر، ويسر لنا ولك كل خير، وهدانا بفضله إلى صراطه المستقيم.

*****

العدالة في القرآن

دعني أعلق على بعض ما قد يقدح في أذهان بعض الصامتين عما يمكنهم التلفظ بشيء مما يحشرج في صدرهم لأقول لهم وفي منتهى الشفافية والوضوح: لسنا هنا مسوقين ولا عاملين في شركات دعاية مادية، ولسنا أمام منتج بشري هزيل يزول معهم بزوالهم، وليس ضروريًا أن يقتنع كل إنسان بكل ما سنورده من ثناء وإعجاب وتعظيم للقرآن، ولسنا بوصفنا مخلوقين نملك القدرة على تجلية حقيقة كلام الله الذي بين أيدينا، إلا بما يفتح الله علينا من حكمة وفهم له، وكل وصف تسمعه سواء أكان حقيقيًا (وهو أقل من الحقيقة)، أم مبالغًا فيه (كما قد يتراءى لك أحيانًا) فاعلم أنه وصف قاصر جدًا أمام شأن هذا القرآن العظيم عظمة لا تتجلى إلا يوم يأتي تأويله يوم القيامة، وكيف لنا الإحاطة به وهو المعجزة القائمة أمام الأولين والآخرين والسابقين واللاحقين إلى يوم الدين، فمنه المحكم، ومنه المتشابه، ومنه ما لا يمكن معرفته على الإطلاق (مثل الحروف التي تبدأ بها بعض السور)، والتي لا يملك المؤمن معها إلا التسليم وقول: «الله أعلم بمراده في ذلك».

ولكن الدافع الذي يجعل عباد الله يتسابقون لتبليغ هذا القرآن هو أنهم يؤمنون به، ويحبون لي ولك الهداية والشكر والنجاة من الأهوال القادمة، ويكرهون لك ولأنفسهم الكفر والعصيان، والله تعالى في كلا الحالين غني عن خلقه أجمعين، حتى لو كفروا وتولوا، ولكنه بفضله يرضى لهم الشكر إذا شكروا، وقد قال: ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [الزمر: ٧] فإذا استقر ذلك في القلب فاعلم علم اليقين الذي لا يساوره شك أنك كلما تأملت القرآن وجدت فيه العجائب الباهرة، وزادت ثقتك به وإيمانك بالله الذي أنزله، وأيقنت أنه

دستور عصري مميز، مليء بالأنظمة والتشريعات المدنية والتجارية والجنائية والحقوقية والاقتصادية والسياسية وغيرها، وسنورد مشهدين إنسانيين عظيمين بوصفهما مثالًا مشرقًا على حضاريته وعدالته وقوته بل وسلطانه حتى على أعمال الرسل، وإن كانوا مصطفين معصومين أخيارًا، ولكن الوحي الذي هو كلام الله يأتي أولًا وكلنا مع الأنبياء والرسل والملائكة، عباد لله الواحد القهار.

*****

المشهد الأول:

عندما تحدث عملية سرقة من قبل عصابة في العهد النبوي، ثم يكتشف أمرها، فيلجأ السارق إلى وضع المسروق على باب يهودي في المدينة، لكي يلصق به الجريمة، ويتنصل الجاني الحقيقي منها، ويعرض الأمر على رسول الله ﷺ، الذي يحكم بنحو مما يسمع في القضاء، وكاد يحكم على اليهودي، لولا أن الوحي الإلهي تدخل بقوة لينقذ سير العدالة الاجتماعية في المجتمع المتعدد، وينقذ ذلك اليهودي من التهمة، لقد تدخل الوحي لإنقاذ يهودي مغمور لا يعلم المؤرخون اسمه، يتدخل الوحي العظيم كي يقوم موقف سيد الأولين والآخرين من الحدث، فالمسألة هنا حق وعدل ومظلمة، والله الرحيم قد حرم الظلم على نفسه، وجعله محرمًا بين الناس، ونهاهم عنه في الحديث القدسي: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا**»[1].

---

(١) الحديث رواه مسلم (٤٦٧٤) عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ النَّبِيِّ ﷺ فِيمَا رَوَى عَنْ اللَّهِ تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنَّهُ قَالَ: «**يَا عِبَادِي، إِنِّي حَرَّمْتُ الظُّلْمَ عَلَى نَفْسِي وَجَعَلْتُهُ بَيْنَكُمْ مُحَرَّمًا فَلَا تَظَالَمُوا يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ ضَالٌّ إِلَّا مَنْ هَدَيْتُهُ فَاسْتَهْدُونِي أَهْدِكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ جَائِعٌ إِلَّا مَنْ أَطْعَمْتُهُ فَاسْتَطْعِمُونِي أُطْعِمْكُمْ يَا عِبَادِي كُلُّكُمْ عَارٍ إِلَّا مَنْ كَسَوْتُهُ فَاسْتَكْسُونِي أَكْسُكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ لَنْ تَبْلُغُوا ضَرِّي فَتَضُرُّونِي وَلَنْ تَبْلُغُوا نَفْعِي فَتَنْفَعُونِي يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَتْقَى قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مِنْكُمْ مَا زَادَ ذَلِكَ فِي مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ كَانُوا عَلَى أَفْجَرِ قَلْبِ رَجُلٍ وَاحِدٍ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِنْ مُلْكِي شَيْئًا يَا عِبَادِي لَوْ أَنَّ أَوَّلَكُمْ وَآخِرَكُمْ وَإِنْسَكُمْ وَجِنَّكُمْ قَامُوا فِي صَعِيدٍ وَاحِدٍ فَسَأَلُونِي فَأَعْطَيْتُ كُلَّ إِنْسَانٍ مَسْأَلَتَهُ مَا نَقَصَ ذَلِكَ مِمَّا عِنْدِي إِلَّا كَمَا يَنْقُصُ الْمِخْيَطُ إِذَا أُدْخِلَ الْبَحْرَ يَا عِبَادِي إِنَّمَا هِيَ أَعْمَالُكُمْ أُحْصِيهَا لَكُمْ ثُمَّ أُوَفِّيكُمْ إِيَّاهَا فَمَنْ وَجَدَ خَيْرًا فَلْيَحْمَدْ اللَّهَ وَمَنْ وَجَدَ غَيْرَ ذَلِكَ فَلا يَلُومَنَّ إِلَّا نَفْسَهُ**».

موقف حضاري عظيم، يؤكد بقوة أن هذا الوحي من رب العالمين وللعالمين جميعًا، ولا يمكن إلا أن يكون منه ﷻ، ولا يمكن إلا أن يكون عادلًا مع الكل، حتى مع من اشتهروا بعداوتهم للإسلام والمسلمين، بل من هم أشد الناس عداوة للذين آمنوا، لكنه دين الحضارة العالمية الذي من أجل إنصاف فرد يهودي ينزل الله على النبي محمد ﷺ هذه الآيات الصريحة بهذه الحدة في حسم الأمر بميزان عادل تقصر دونه دساتير كل حضارة بشرية، قال تعالى عن هذه القصة: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾ وَٱسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تُجَٰدِلْ عَنِ ٱلَّذِينَ يَخْتَانُونَ أَنفُسَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ خَوَّانًا أَثِيمًا ﴿١٠٧﴾ يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَلَا يَسْتَخْفُونَ مِنَ ٱللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ ٱلْقَوْلِ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ جَٰدَلْتُمْ عَنْهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا فَمَن يُجَٰدِلُ ٱللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ أَم مَّن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا﴾ [النساء: ١٠٥- ١٠٩].

*****

المشهد الثاني:

هذه القصة القرآنية أعجوبة أخرى في العدالة الاجتماعية، وعلاج ناجع للطبقية والعنصرية التي تعانيها الأمم، والقصة باختصار: أنه كان هناك نفر من المشركين ومن كبار زعماء القبائل، يتقدمهم الأقرع بن حابس التميمي[1]، وعيينة بن حصن الفزاري[2]، يرتادون مجالس النبي ﷺ، وكلما جاؤوا إليه وجدوا في مجلسه نفرًا من ضعفاء المسلمين،

(١) الأقرع بن حابس التميمي المجاشعي اسمه فراس ولقب بالأقرع لقرع في رأسه وهو من أشراف العرب ومن المؤلفة قلوبهم قاتل مع خالد بن الوليد في معارك العراق توفي عام ٢٣هـ: (سيرأعلام النبلاء سيرة الخلفاء الراشدين الذهبي ص١٣٧).

(٢) هو عيينة بن حصن بن حذيفة بن عدي الفزاري من قيس غيلان أصيب في وجهه فجحظت عينه فسمي عيينة وهو سيد بني فزارة وفارسهم وكان من الأحزاب يوم الأحزاب وممن عرض عليهم النبي ﷺ ثلث ثمار المدينة ثم انتهى لاعتراض الأنصار على ذلك فلما هزم الأحزاب رد عيينة إلى قومه فأسلم وتوفي في خلافة عثمان رضي الله عنه: (سير أعلام النبلاء، سيرة الخلفاء الراشدين، الذهبي، ص٢١٥).

كسلمان الفارسي وخباب بن الأرت وصهيب الرومي وبلال الحبشي، فلما رأوهم حول النبي ﷺ اشتعلت فيهم نعرة الفخر في الأنساب، وحقروهم، فأتوه فخلوا به، وقالوا :إنا نريد أن تجعل لنا منك مجلسًا تعرف لنا به العرب فضلنا، فإن وفود العرب تأتيك، فنستحي أن ترانا العرب مع هذه الأعبُد، فإذا نحن جئناك فأقمهم عنك، فإذا نحن فرغنا فاقعد معهم إن شئت، فأجابهم إلى ذلك طمعًا في إسلامهم ومن ثم إسلام قومهم تبعًا لهم، ولم يكن هناك حرج من أصحابه الذين استقر الإيمان في قلوبهم أن يتنحو جانبًا لهذا الغرض النبيل، فلما وافقهم على طلبهم قالوا: فاكتب لنا عليك كتابًا، فدعا بصحيفة ودعا عليًّا رضي الله عنه ليكتب والضعفاء قعود في ناحية، فنزل الوحي!

نزل الوحي ليتدخل في اللحظة الحاسمة لبناء كيان الإنسان وتكريمه، الوحي الذي جاء رحمة للعالمين أجمعين، الوحي الذي جاء ليعالج الطبقية المقيتة، إنها العدالة الربانية التي تسمو فوق جميع التقديرات البشرية، ولأنه الوحي، ولأنه من الله، فقد نزل على النبي ﷺ بهذا الخطاب الواضح، اقرأ معي هذا الأمر الرباني لأشرف الخلق: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] سبحان الله، كل هذا ترسيخًا لمبدأ العدالة الاجتماعية، هل أدركت من المخاطب؟ إنه سيد الأولين والآخرين، لترى عظمة الوحي وعلو مقامه على كل شيء في هذه الدنيا.

ولم يقف الأمر عند هذا الحد، بل جاء زاجرًا لأولئك الأكابر الذين لم يتقبلوا، ولم يتحملوا رؤية إخوانهم الصادقين في مجالس رسول الله، فجاءت الآية التي تليها زجرًا لهم: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] ثم أمر الله الرحمن الرحيم رسول الرحمة الذي هو بالمؤمنين رؤوف رحيم، أمره بمزيد من التلطف والشفقة بالمؤمنين الذين هم أولى به من غيره، وهو أولى بهم من غيرهم، فقال له: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَٰتِنَا فَقُلْ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ أَنَّهُۥ مَنْ عَمِلَ مِنكُمْ سُوٓءًۢا بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَصْلَحَ فَأَنَّهُۥ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥٤﴾ وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْـَٔايَٰتِ وَلِتَسْتَبِينَ سَبِيلُ ٱلْمُجْرِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٤- ٥٥] ثم ما الذي حصل بعد ذلك، لكي نعلم أن هذا الأمر كله

رباني بوحيه ورسوله وقرآنه، والحمد لله على نعمة الإسلام، نقولها وجلودنا تقشعر إيمانًا وعرفانًا وعيوننا تدمع خوفًا ورجاءً وقلوبنا إلى ذكر الله تعالى، يقول خباب: لما نزلت: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾، [الأنعام: ٥٤] دنونا من رسول الله ﷺ حتى وضعنا ركبنا على ركبته؛ وكان يجلس معنا، فإذا أراد أن يقوم قام وتركنا، ولكن الرعاية الربانية من فوق سبع سماوات باقية، ولا تزال تستكمل جميع بنود نظام العدالة الاجتماعية مع هؤلاء الضعفاء، فتتواصل معهم، إلى أن أنزل الله ﷻ الأمر الصريح: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ﴾ [الكهف: ٢٨] ثم أتبعه بنهي صريح أيضًا عن مجالسة أولئك الذين لم يتحملوا رؤية الضعفاء عند رسوله: ﴿وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] قال خباب: فكنا نقعد مع النبي ﷺ، فإذا بلغنا الساعة التي يقوم فيها قمنا، وتركناه حتى يقوم تأدبًا معه.

يا له من مشهد تذرف له العيون إعجابًا وإجلالًا! ايتوني بمشهد كهذا من أي حضارة أو أمة على وجه الأرض طوال التاريخ، إننا حينما نتحدث عن ديننا وقرآننا، فنحن لا نبالغ، ولكننا نتحدث عن نعمة عظيمة لا نوفيها شكرها وعن حقيقة كبرى لا نستطيع وصفها، ولكي تعلموا أن هذا القرآن حق، وأن وعد الله حق، وأن الساعة آتية لا ريب فيها، وأن الله يبعث من في القبور، وأن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم، وأنه لو كان من عند غير الله لوجدنا فيه اختلافًا كثيرًا[1].

---

(١) الحديث رقم (٣٣٤٦) من صحيح ابن ماجه عن خباب بن الأرت رضي الله عنه أن سبب نزول الآيات: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ﴾ [الأنعام: ٥٢] إلى قوله: ﴿فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] قالَ: جاءَ الأقرعُ بنُ حابسٍ التَّميميُّ وعيينةُ بنُ حصنٍ الفزاريُّ فوجَدا رسولَ اللَّهِ ﷺ معَ صُهيبٍ وبلالٍ وعمَّارٍ وخبَّابٍ قاعدًا في ناسٍ منَ الضُّعفاءِ منَ المؤمنينَ فلمَّا رأوْهم حولَ النَّبيِّ ﷺ حقروهم فأتوْهُ فخلوا بِهِ وقالوا: إنَّا نريدُ أن تجعلَ لنا منْكَ مجلسًا تعرفُ لنا بِهِ العربُ فضلَنا فإنَّ وفودَ العربِ تأتيكَ فنستَحي أن ترانا العربُ معَ هذِهِ الأعبُدِ فإذا نحنُ جئناكَ فأقمْهم عنْكَ فإذا نحنُ فرغنا فاقعد معَهم إن شئتَ. قالَ: نعَم. قالوا: فاكتُب لنا عليْكَ كتابًا. قالَ: فدعا بصحيفةٍ ودعا عليًّا ليَكتبَ ونحنُ قعودٌ في ناحيةٍ فنزلَ جبرائيلُ عليْهِ السَّلامُ فقالَ: ﴿وَلَا تَطْرُدِ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِىِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ ۖ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَىْءٍ وَمَا مِنْ حِسَابِكَ عَلَيْهِم مِّن شَىْءٍ فَتَطْرُدَهُمْ فَتَكُونَ مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾ [الأنعام: ٥٢] ثمَّ ذَكرَ الأقرعَ بنَ حابسٍ وعيينةَ بنَ حصنٍ، فقالَ: ﴿وَكَذَٰلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوٓا۟ أَهَـٰٓؤُلَآءِ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنۢ بَيْنِنَآ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِٱلشَّـٰكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣] ثمَّ قالَ: ﴿وَإِذَا جَآءَكَ ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِـَٔايَـٰتِنَا فَقُلْ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُمْ ۖ كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلَىٰ نَفْسِهِ ٱلرَّحْمَةَ ۖ﴾ [الأنعام: ٥٤] قالَ: فدنَونا منْهُ حتَّى وضعنا رُكبنا على

هكذا يجب علينا أن نفهم القرآن العظيم بمعانيه العظيمة وصوره الحضارية وقيمه الإنسانية، وهكذا يجب أن تفسر آياته، ويستنبط منها الدروس والعبر المؤثرة في حياة الإنسان، أما تلك الصورة النمطية الذهنية المبسطة عن القرآن عند بعض الناس، فتحتاج إلى تصحيح جذري، فالقرآن ليس مجرد كتاب مقدس أنزل للتلاوة فقط، وأن ما يجب عليك تجاهه هو أن تتلوه، وتبحث فيه عن معاني المفردات فحسب، بل هو كلام الله إلى خلقه، وهو أعلم بهم سبحانه، هو دستور الحياة بجميع تفرعاتها وتخصصاتها، هو شفاء لما في الصدور وهدى ورحمة للعالمين، هو الذي لا غور لعمقه، ولا سقف لعلوه، ولأنه كلام الخالق العليم ﷻ، فإن تعاهده بالتلاوة والتدبر هو بمنزلة المداومة على أخذ جرعات الدواء الشافي والغذاء لضمان بقاء السلامة والعافية، ولئن كان الدواء لشفاء الجسد من الأمراض ضروريًّا، فالقرآن لشفاء الروح والجسد معًا أشد ضرورة، وأثر النقص في تلاوته على الكيان الإنساني أشد من أثر النقص في الغذاء أو الفيتامين على الجسم، إذ يترتب عليه أعراض نفسية وروحية وحتى جسدية، لا تزول إلا بتعويض ذلك النقص بالرجوع للتلاوة وأخذ القسط الكافي منها، وهنا تتجلى الحكمة من الأمر بمداومة التلاوة للحفاظ على الجسم سليمًا معافى في الدنيا بإمداده بمعين لا ينضب من الغذاء الروحي الضروري لتوازن الحياة واستقرارها، هذا فضلًا على ما وعد به أهل القرآن من الدرجات العلا في الجنة، وتلكم هي التجارة التي لا تبور.

هذا الإعجاب بالقرآن العظيم هو عين الحق الذي يجب أن يقال جهارًا نهارًا بكل عزة وفخر، ومشروعية تكرار تلاوته وفهمه حاجة ضرورية؛ لأنه مطلب للشفاء من كل سقم ومرض، لقد دعا القرآن إلى التعقل أكثر من خمسين مرة، وإلى التفكر أكثر من

رُكبتِهِ وَكانَ رسولُ اللهِ ﷺ يجلسُ معَنا فإذا أرادَ أن يقومَ قامَ وترَكنا فأنزلَ اللهُ: ﴿وَٱصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِٱلْغَدَوٰةِ وَٱلْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُۥ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ﴾ [الكهف: ٢٨] ولا تجالسِ الأشرافَ: ﴿تُرِيدُ زِينَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُۥ عَن ذِكْرِنَا﴾ [الكهف: ٢٨] يعني عيينةَ والأقرعَ: ﴿وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمْرُهُۥ فُرُطًا﴾ [الكهف: ٢٨] قالَ خبَّابٌ: فَكنَّا نقعدُ معَ النَّبيِّ فإذا بلغنا السَّاعةَ الَّتي يقومُ فيها قُمنا وترَكناهُ حتَّى يقومَ. انتهى. وقد علق بعض الباحثين على هذه الرو موضحًا أن هذه الآيات مكية وأن القصة حدثت في المدينة وأيًّا كان الأمر فالآيات محكمات تعالج الموقف نفسه، وتؤسس لقاعدة العدل الاجتماعي بين الناس ليس فقط في العهدين المكي والمدني، بل أيضًا عبر تاريخ الوجود إلى يوم القيامة: «قل كل من عند ربنا».

عشرين مرة، ومدح الحكمة أكثر من عشرين مرة، ورفع مقام العلم لدرجة أنه جعل العلماء هم أكثر الناس خشية لله، فكيف نتغافل عن هذا كله، ويفوتنا أن نتداوى من ينبوعه الصافي الشافي، خاصة ونحن نعيش في بيئة فكرية ملوثة نحتاج إلى مزيد من التكرار والتركيز والتحصين حتى يظهر مفعول هذا الشفاء متدفقًا إلى الشريان العقلي والروحي، معلنًا أن القرآن كلام الله المنزل المحفوظ إلى الأبد، وأن الله خالق كل شيء، ورب كل شيء، وأنه يخلق ما يشاء، ويختار، ويحكم ولا معقب لحكمه، وأنه الحق، وقوله الحق، وإليه يرجع الأمر كله، وأن الكون حادث ومخلوق، وممكن الوجود، وليس واجب الوجود كوجود الله تبارك وتعالى.

*****

التحدي في الخطاب القرآني

إن ميزان الترغيب والترهيب لم يكن غائبًا عن الخطاب القرآني، وإن الله الرحمن الرحيم هو أيضًا الله الجبار القوي العزيز، ذو البطش الشديد والفعال لما يريد، وعندما يخاطب عباده بالقرآن، وهو العظيم متنزلًا رأفة منه ورحمة بخلقه، فلأن رحمته سبقت غضبه، ولأن رحمته وسعت كل شيء، ولأنه يحب لعباده الشكر، ولا يرضى لهم الكفر، ولأن كل رحمة في الوجود ما هي إلا جزء يسير من رحمة رب الوجود ﷻ، ولهذا اقتضت هذه الرحمة أن يكون خطاب التنزل في غاية الشفقة والتيسير والوعد بالنعيم، لكن هذا لا يعني بحال غياب خطاب القوة والوعيد بالجحيم للمستكبرين المعاندين بعدما يتبين لهم الحق، فواسع الرحمة والمغفرة هو أيضًا شديد العقاب ذو الطول لا إله إلا هو إليه المصير، قال تعالى: ﴿نَبِّئْ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلْعَذَابُ ٱلْأَلِيمُ﴾ [الحجر: ٤٩- ٥٠].

إن العناد والمكابرة من طبيعة النفس البشرية: ﴿وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ۚ وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤] خاصة عندما تسيء النفس مفهوم الحرية وإتاحة الفرص، وهنا يتطلب الموقف لغة أخرى في الخطاب، فلا اللين

وحده يكفي ولا الشدة كذلك، والجمع بينهما قوة في الخطاب، وثقة في المخاطِب وشفقة على المخاطَب، ألا ترى أنه لا يستقيم مجتمع إلا بنظام، ولا يقوم النظام إلا بسلطة تملك القوة والقدرة على تطبيقه، ومن الخطأ فهم الحوار في الخطاب القرآني على أنه سجال بين طرفين متكافئين أو متقاربين أو متشابهين، ولقد كان التنزل القرآني تفضلًا من الله على خلقه وإلا فالمقام مقام التحدي ممن لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء، وهو الذي خلق كل شيء بما في ذلك عقل وقدرات هذا الإنسان المجادل في الله بغير علم، هذا المخلوق الضعيف الذي لا يملك لنفسه موتًا ولا حياة ولا نشورًا، فلنبتعد عن الغرور الزائف والجرأة على الخالق والتصورات الخاطئة، و(أنسنة) الموقف، لا! الأمر ليس كذلك.

للمجادلة حدود، وللمناظرة قيود، والتأدب مع الله واجب، فالأمر معه يختلف تمامًا لاستحالة تصوره بواسطة العقل البشري، ولتقريب الصورة نضرب هنا مثلًا من الخلق، من الطبيعي أن يتحدى إنسان إنسانًا في منافسة، فكرية أو رياضية أو يواجهه في مناظرة عامة، لكن لو قيل لك: هناك تحدٍّ في سباق بين نملة وحصان! أو نملة وفيل! ففي هذه الحالة مجرد انتظارك للنتيجة، يُعدّ ضربًا من الجنون، بل ولا يخلو خبر انتصار الحصان على النملة من عيب في روايته واتهام لعقل الراوي، ولا أجد عبارة أنتقل بها إلى الحديث عن الله في هذا السياق لعظمة الخالق أمام خلقه، حياء وتأدبًا معه، فله المثل الأعلى سبحانه، واستحالة الاقتراب مجرد الاقتراب من حيز التشبيه والتمثيل للذات الإلهية يوجب التوقف فورًا وإعلان العجز المطلق، فسبحان من له الأسماء الحسنى والصفات العلا، ومن ليس كمثله شيء!

والقرآن الكريم كله بمجمله معجزة كبرى وتحدٍّ للخلق أجمعين، ببلاغته وأحكامه ومعانيه وحفظه وتلاوته ووعده ووعيده: ﴿ قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾ [الإسراء: ٨٨] والله الغني الحميد لم يجعل الأمر متوقفًا على إيماني وإيمانك، فلله عباد صادقون من كل جنس غيرنا، فمن له الخلق والأمر وله ملك السماوات والأرض غني عن خلقه، قال تعالى: ﴿قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾ [الإسراء: ١٠٧]

ويقول: ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورٗا﴾ [الإسراء: ٤٤] وأما الكافر أو المرتد أو المشكك أو الملحد فلا يضر إلا نفسه فقط، والذي خلقه قادر على أن يهلكه ويأتي بخير منه لو شاء وهو غني عنه، بل غني حتى عن المؤمنين: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَن يَرۡتَدَّ مِنكُمۡ عَن دِينِهِۦ فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

*****

opeikandl.com